

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة

@ 113 ذكروه له لما كان عليه من الخير والورع والدين فلما حصل معهم قاموا بحقه وخدموه وسعوا في رضاه من غير أن يشعروه أن لهم غرضا غير بركته وخدمته فلما رأى ذلك منهم اغتبط بهم وأنس ببنتهم ووجد منهم الشفقة العظيمة فأقام بمكة وترك الرجوع إلى بلده فرزق منها أئمة مكة اليوم وقضاتها وخطباؤها وعلمائها الكمال أبو الفضل الشافعي والنور المالكي فتقدما على أقرانهما ورأسا فولي الكمال قضاء مكة وخطابا الحرم ونظره والنور مقام الفقيه خليل بعد ابن عمه عمر من إمامة المقام وإمامة الحج وكان من حال أبيهما صاحب الترجمة أنه صحب زوجته إلى أن توفي والدها النجم سنة ثلاثين عن اثنتين وسبعين سنة وهو معهم على ما يجب من العزة والإكرام وترك المسألة عما يجب عليه من النفق والأدام والكسوة وما جرت به العادة مع الأزواج وبعد موت والدها لم ير منهم ذلك الوجه الذي كان يعهده فجاء مع زوجته إلى المدينة زائرا وأراد الإقامة بها ليذللها ويهذبها بالغربة والبعد عن أهلها فامتنع أهلها وشددوا في رجوعها معهم فقال على طريق التغليظ عليهم والتشديد في إقامة العذر أنا قد حلفت بالطلاق الثلاث أن لا يكون لها معكم سفر في هذا الوقت ولم تكن له نية وإنما أراد التهويل عليهم فعزموا عليه والتزموا الرجوع إلى ما كان عليه فسافر معهم وقيدوا عليه يمينه وأخذوه بظاهر لفظه فطلقوها منه فاشتد عليه الأمر وعظم عليه ما وقع فيه ولم يجد من يساعده على ما نواه إذ أسر النية فلما رأى أنها بلية لا يمكن زوالها رجع إلى المدينة وأقام بها فكان يصلي إلى جنبي الصلوات فأرى منه من التوجع والالتهاب والشوق ما لم أره من أحد فكنت أعذره في الباطن وأهون عليه الأمر في الظاهر فيقول ويل للشجي من الخلي ثم إنه لم يجد ما يغيظهم به إلا أخذ ولديه فأخذهم بالشرع فأقاما معه وهما صغيران فتعب وتعبا فسهل الله من اختلسهما منه وحملهما إلى مكة لأمهما وخالهما القاضي شهاب الدين فربوهما أحسن تربية فجاء منهما ما تقدم ولما علم الفقيه خليل أن في فراقها له شبهة تورع من زواجها وتركها فلم تزل كذلك حتى مات صاحب الترجمة بالمدينة فحينئذ تزوجها وماتت عنده رحمهم الله وكان من بيت الكرامات والمكاشفات لهم حكايات مغربات ومقامات مشيدات .

جلست إليه يوما بعد أن صليت ركعتين وكان قد أظلنا مجيء الحاج فكانت صلاتي كلها وسوسة بما يجيء به الحاج وما يكون في وظائفه وما يجيء فيها وغير ذلك فقال عقب فراغي يا فقيه ما أقل أدب العبد مع ربه الله تعالى خلقه وأوجده وتكفل برزقه وجعل الرزق يجري مع الحاجة لا يتعدها ولم يرد منه إلا الإخلاص والتوكل والعبادة وقد جرب العبد وعده تعالى فوجده

صحيحاً لا يختل معه ورزقه يأتيه كل حين وكل يوم وكل ساعة حسبما يقدره الله تعالى ثم إنه سبحانه أمره بصلاة وزكاة وصيام ووقت لكل من ذلك وقتاً وأمره لا يتعداه بتقديم ولا